المدينة كان ضريرا وتوفى سنة ١٠٠ وله شعر فحل جيد منه :

فلو اكلت من نبتت منى بريمة ... لراجح منها رحمة حبة تاكله
ولو كنت في غل فبحت بلوعتى ... اليه للانت لى ورقت سلاسله
ولما عصانى القلب اظهرت عولة ... وقلت الا قلب بقلبي ابا وله

ومنهم الامام الماضى وهو اشهر من ان ينوه به او يشار اليه توفى سنة ٢٠٤ ومن شعره قوله :

على ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت اجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلق غمده ... اذا كان عضبا اين وجهته يرى

ومنهم سوار بن عبد الله القاضى وهو سوار الاصغر من اهل القرن الثالث له شعر منه :

سلبت عظامى لحمها فتركتها ... عوارى فى اجلادها تتكسر
واخليت منها فخها فكانها ... انابيب فى اجوافها الريح تصفر
اذا سمعت باسم الفراق ترعدت ... مفاصلها من هول ما تتحذر
خذى بيدى ثم الفنى الثوب فانظرى ... بلى جسدى لكننى انا قشر
وليس الذى يجرى من العين مادها ... ولكنها روح تذوب فتقطر

هذا ما اخطر على القلب من اسماء الفقهاء المتقدمين الذين جودوا فى قريض الشعر، وهذه نبذة من اشعارهم التى ليس لحسنها غاية، بل هى غاية لكل حسن ومنها تعلم مبلغ الفرق بين السلف وبين الخلف، ولا تحرم من معرفة السبب اذا تفرست ما اوردناه، فسبحان من اذا شاء الطف المعقول وقوم الموضوع من الالسنة انه على كل شئ قدير

١ انظر معجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ٥٥ فما بعدها ٢ انظر ايات للقاضى ابى عاصم وغير ذلك

نقد ديوان حليم

نشرت على الجزء الثالث من المجلد الاول من مجلة الرابطة الادبية السنة الثالثة ١٩٣٢ والرابع الادبي

يا افتى الحليم

خليت الى لما اهديتنى ديوانك ان انظر له نظرة الناقد الملوم، لا نظرة الجاهل المطرى فصدقت ظنى بك لانك شببت عن طوق التشجيع (وان كان ملك لا يشجع ملك) فاخذت من وقتى ما اعدنى على قراءة القسم الاول من الديوان مع الهمة التى كنت بها نسيج وحدك واحسنت بحمدها ما شئت اذ عرضتها على الانظار طرازا آخر وانيا وديباجا صنعانيا وكنت اشبه بالنحل الذى يجنى الحبيب الازهار فيحولها الى عسل مصفى سائغ

اما ما يليها وهو بالورة نظمك فقد تمثلت به قنوة الشعر ورقة الشعور وخفقه على النفس كونه مقصوراً على حاجات النفس وترجمانها.

ولا امترى فى ان مشمولة الشعر قد دب فى نفسك ودبيبها، فصورت لك نفسها حيث تضرب بطرفك، لذلك فانت تنظم كل ما يتراءى لك من تلك المناظر فقصيدة (لبنان وزحلة وارى جمالك والاندلسية وحنينى) اثر من آثار تلك النشوة ولكن مقطوعة (القبيل) اثر من خمارها اعاذك الله من هذا بانه.

هذا ولعل ما وعدك اللفظ فى كل ما تعانى التعبير عنه لا سيما ما لم نكن نسمع.

ان ما لحاظته من شعرك كثير المراس، لكنه لا يخلو من مواضع يجوز نقدها على اني وكل ابيه، واذا اذكرها منوخياً لطريق الايجاز وهى:

ورد فى قصيدة (من وراء البحار) قولك فى وصف الحياء:

تمد سريباً خلل الروض صافية ... كحية وسط غاب فى تلويها

فكلمة وسط هى من الغلط وثقيلة على السمع ومنها:

نادى منادى الذى ينى تفرقنا فبت النفس عن كره مناديها

انت تريد ان المنادى نادى بالفرقة كما يضرم من المقام وقولك ينى تفرقنا على ماتريد انه يقال نى فلان اذا اخبر بموته وليس المقصود ثم موت الفرقة بل نشرها الا ان يقال هو من باب ينى على فلان ذنوبه اى يظهرها ولا يجوز ان ينظر اليه من هذا الوجه هنا عدا ما ورد فى البيت من كسر الياء من (مناديها) والمقام فتحها وهو لا يمتد به امام ذاك.

ومن القصيدة:

وان شرهت نفسى مع اساءتنى وخير صحب لنشر العلم حلو بها

ففى هذا البيت من معالم الضعف ما تكاد تلحقه بعالم الاموات عظم الله اجرك وعوضك عنه خيراً واحياك بعده حياة طيبة.

وقصيدة (من بحر الى بحر فى بحر) لا تخلو من صنعة حسنة لكن فى بعض ابياتها ركاكة لا ادرى اهى من صنعة ناظمها الاول ام طرأت عليها عند تحويلها واليك هى:

فرط احتقارى للخلائف اذ اشا هد كل عار من حلى مجدى سدى

قدما بغى الدهر اصبح اشيبا والدين بى زا الدهر اصبح امردا

واخلف وعدى اذ انى فوقهم اوباء محلا باهريد وسؤددا

وجاء فى قصيدة (لبان) قولك فى بنائه (عن الله عهد هن)

يقفزن بين تلالك قفزا لجاذر النعام

فقفلة قفز مع كونها ثقيلة فان القوافى لا تتحمن مزيدا ان يقفزن قفز النعام بل يوصفن بالخطر والتهادى والتمايل وكل ما يوصف بالتريث من انواع المشى كما قال زياد بن حمل التميمى:

وبالخلائف تأتى بيت جارتها تمشى الهوينا وما تبدو لها قدم

وكما قال الاعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

وكما قال الاخر:

مريضات اوبات الفرا دى كأنما تخاف على احشائها ان تقطعا

وكقول بعضهم (يتهادين كتقطاء القطا)

ويعجبنى من القصيدة قولك:

تشدن الحان الغرا م وليس يعرفن الغرام

لى بنرين مليحة صلى الغرام لها وصام

لطيفاء مشرقة الجبيـ ـن كطلعة البدر التمام

كاذا جرت فى خاطرى جرت المدامع بانسجام

...

سلمى اذا جن الدجى وبزرت حاسرة اللثام

فتذكرى حبا جرى بدمائنا منذ الفطام

هذا فوادى فاسمعى نبضاته لمى الظلام

يسرى اليك مع النسـ ـيم يقول ياسلمى سلم

على ان القصيدة كلها من لبه الشعر وعذبه.

اما قصيدة (الدم) فيخيل الى ان شدة شوقك ضيقت عليك مسلك الشعر فلم تتمكن من نفث ما جاش فى صدرك او ان غادة البلاغة العربية استعصت عليك فى اول اعجمية لم يفتر بها بيغ فه وقديما قيل (بعض البقاع ايمن من بعض)

وكيف تنبسط نفس الشاعر فى قطر قلت فى صفته:

اقفيت زاهى العصر فى بلد قفر يذوب بحره الضيب

والعجب منك كيف قلت بعد هذا البيت:

نفس ينوء بعبئها جسـ ـد بادى العظام مصوح صلب

فالذي يكون يادى العظام مصوحا صلبانى آن واحد.

ومطلع قصيدة (رحلة) وهو:

يا خليلى ردا ذكراها فهواها منجته برهاها

يتحصل منه معنى الابعد كل الزمن وتقدير ما يتبعد كما انى ذا استحسن كلمة (رحلة) وقد ابتدأت برهاء عدة من ابيات هذه القصيدة.

ويعجبنى منها وصف شجار الحور وهو:

... باثقات: ادواحها خافقات كجنود مر النسيم ثناها

ولو قلت اوراقها بدل ادواحها واجمت الضمير الى باسقات لكان ابدع لما بينه ورق الحور والبنود من المقاربة فى الشبه.

ومنها:

باذخات تموج صفا لصفٍ كجنود بوق الوغى ناداها

او كامواج زاخر دهمتها عاصفات فجمدت اعدادها

تصدم السحب هامها وتناجى فى الليالى نعاكبا ترعاها

...

حركت خالدى رق حركتها نسمات ذكية تغشاها

كرمة انشر كرمة اثر اخرى كرم الله ذكرها واصطفاها

كاعنى فى غابها ارباضات او مهاش تقيل فى مرعاها

او غصان رقون بين هضاب ونثرن الثمر فوق ثراها

بارزات ثمارها كنهود او عقود قد رصعت بحلاها

تتدلى نحو الثرى عاريات وندى الليل مذهبى حلاها

ومن التبذل فى اللفظ قوله فى قصيدة (تخييرت شاعر)

وقالت هاك تقوى لتامنع فقل ماذا عن القيل تدفع

واما قصيدة (اى جمالك) فهى حسنة السبك وذكرها لا يخرج عن كونك

ترى جمالها فى كل شئ مع ذكر المظاهر فكل بيت على انفراده حسن لكن حشرها مع بعضها ليس له ذلك الوقع فى النفس اذ ان بيتا او بيتين ينوبان عن الجميع ومما احلى قول المجنون فى هذا المعنى:

اريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

وقريب منه قول الدمنية:

ولو أننى استغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب على ذنوب

ومثله قول الآخر:

يذكرنيك الخير والشر والذى اخاف وارجو والذى انوقع

وقول اسحق الموصلى فى الرثاء:

وهون عندى فقده ان شخصه على كل حال بيد عنى ماثل

ومنه قول الآخر:

أ آخر شئ انت فى كل هجمة وأول شئ انت عند هبوبى

الى غير ذلك من الابيات التى لا يأتى عليها الحصر.

وفى القصيدة ظهر للشيخ ناصيف اليازجى رحمه الله ورد تضمنه خطأ احال المعنى الى ما لا يقصد منه وهو:

فانت انت كما قد قال شاعرنا (من صنعة الله لا من صنعة البشر)

فمن يدعى انها من صنعة البشر.

ويعجبنى من القصيدة قوله:

احييت نفسك قبل الجسم انك ها حسنا يفوق على الاشباح والصور

نفس تعالت عن الادناس من صغر ولم تزل من بنات الطهر فى اكبر

ومن الخطأ المعنوى مطلع قصيدة (الاسبانية)

خفق القلب لاسبانية جددت عصر الجمال العربى

فمن قال ان الجمال العربى انقضى حتى جددته تلك الاسبانية التى خفق لها قلبك.

ويعجبني منها قولك :

ورعتها الشمس لكن نبت فوق خديها سناها الذهبي

وفي قصيدة (حدثيني) ما لا ارضاه لك وهو :

تتعاري عن الرقاق وتبدو الى التينة الصغيرة تعدو

كل حين

فما اكتفيت بذكر التينة حتى جعلتها صغيرة لا يتفيأ بظلها ولا ينتفع بثمرها.

ومن الخطأ المعنوي بها قولك :

ذكرني بذلك العهد سلمى كم قتلنا الدقائق لهواً ولثما

ذكرني

كيف يكون الدنو من الحبيب ولثمه قتلا للوقت فذلك الوقت مما يغتنم وتتمنى استدامته ورحم الله من قال :

وقصيرة الايام وجيلها لو نال مجدها بقدر حميم

ولله در الآخر حيث يقول :

فلو جمع الانفس لو ان صحبه تنادوا وقالوا في المناخ له نم

وفي القصيدة من الخطأ المعنوي قولك :

عن غرام ما حل حتى تواري كهزار دنا فغنى فطارا

حدثيني

فهذا ليس من الصبابة في شيء بتة اذ ان المطلوب في الحب استفاده مدة العمر وما دونه الى ما بعد الموت فهذا قلت كما قال صاحب ليلى :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

او كما قاله ابن ازنية :

واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

او كما قال الرهاوي :

فيا حبها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الايام موعدك الحشر

او كما قال الاحوص :

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

اللهم الا ان يكون ما ذكرته واقعاً واذا فرض ذلك كان مما لا ضرر اعادة ذكره في هذا المقام.

ويعجبني من القصيدة قولك.

واحنيني الى ابتسامة ثغرك واحنيني الى تموج شعرك

واحنيني

ومنها

ان دمعا يراك انعطافا عليا ياسليمى يعيد روحي الابا

صدقيني

فلفظة صدقيني لها وقع حسن في النفس وان خلفت في موازين الفصاحة وقهرت عن مقابيسها.

ومنها :

اقبلي الورد فوق قبري صباها فهو قلبي كنفحة الطيب فاحا

فانشقيني

لعل كلمة انشقيني.

ويعجبني ايضاً قولك من (جواب رسالة) :

اذا كان قلبي سار منذ ترحلت فكيف احب الغير والقلب عندها

ومن الخروج عن المألوف في المعاني قولك في قصيدة (الطفل الراحل)

كنت يا طفل شعلة في البرايا صرت نجما يزين الوفد كا

فاستحالة الغض الى نجم لم تعرفه العرب جاهلية واسلاما وما اعرف مذهبا
يقول بذلك على ان الذنب فى ذلك منحدر بالناظم الاول الذى ترجمت عنه .
وفى قصيدة المرأة الخادعة ترى الدرة قد ضمت الى مخترقة فخلصها يدل على
خمود فى نفس الشاعر وهو :

اضاعت عهودى من رعيت عهودها ... فوا خجلى من حدى وصحابى
وقفت لها قلبى وحبى وصبوتى ... فما حفظت حبى غداة غيابى

وفيها من الدرر :

فيا بعد ما بينى وبين مسرتى ... ويا قرب ما بينى وبين عذابى
اعش لاحبابى ونفسى حزينه ... لذلك لا يدرى الاحبة مابى

ومنها :

وهل انا ممن يرتضون مذلة ... وسابغة العلياء ملء اهابى

وخاتمة هذا القسم من الديوان عجب فى بابها وهى :

(التقبيل)

عاودة التقبيل لا اقبلها ... فهى سم قاتل فينا نزل
فلكم كنا اقتضى من قبلة ... وانتنا من تواليها العلل
فاستمع قولى ولا تهزأ به ... تنج من اضرار ما يلقى القبل

لا ادرى ما الباعث على نظم هذه الابيات . هل كان عقيب قراءته فصول
عن الجزام والبرسام وكيفية سرايتهما ! ام مرت بخاطره عجوز عجفاء ! كأن
وجهها شن بال ، ام اراد ان تقفو اثر ابن الرومى ! فى ذم الورد والبنفسج .
كيف جاز لذلك ان تقول عن القبلة سم قاتل وهى الياقوت ، بل شفاء كل
داء ، وهذا الفتح بن خاقان يقول فى تقبيله فم احدى محظياته : وجدت
ما بين شفتيها هواء لو رقد المحموم فيه لصحا .
وهذا كثير يتعجز عزة وعدها بقوله :

قضى كل ذى دين ووفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

ولم يعن دينه الا قبلة وعدته بها وطال الزمن على تقاضيها بل مات ولم
يذكرها فقلت لها احدى صواحبها وددت لو انك جدت له بها وجعلت اثمها
فى عنقى .

هذا ما بدا لى فى هذا الشأن بعثت به اليك راجيا ان تنظر اليه بعين الاخوة
والصداقة وتقيل القلم من عثراته فى مواضع الدعابة فانا فى هذا المقام
حيث يقول الشاعر :

فى انقباض وهشمة فاذا ... صادفت اهل الوفاء والكرم
اسلمت نفسى على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته